

معارك ابراهيم باشا

## اختيار ابراهيم باشا لقيادة الحملة على نجد

قرر محمد علي اختيار شخصية قوية يعقد لها لواء حملته الجديدة الى نجد، هذه الحملة التي يريد منها أن تقهر عبد الله بن سعود وتدمر عاصمته ( الدرعية ) .. ويروي لنا بلغرف قصة طريفة، يزعم ان العربان في خيامهم كانوا يتداولونها، عن الاسلوب الذي اتبعه محمد علي في اختيار القائد المنشود ، فيقول :

قرر محمد علي استئناف الحرب ضد النجديين بقوة وزخم ، وأراد أن يتخذ للحملة الجديدة قائداً غير طوسون المريض ، فدعا الى قصره ، في القلعة ، كل القواد والرؤساء الذين يمكن التفكير فيهم للقيام بهذه القيادة، وفي الساعة المحددة للاجتماع ، حضر ثمانون أميراً وقائداً ، وكان بينهم ابنه ( ابراهيم ) ، وقد دخل المدعوون الحجرة التي يجلس فيها محمد علي ، فوجدوا بين يديه سجادة مبسوطة ، وفي وسطها تفاحة على طبق .. فتعجبوا من ذلك !

وهنا قال لهم محمد علي :

— سأختار قائداً للحملة ضد الوهابيين الرجل الذي يستطيع الإمساك بهذه التفاحة ، دون أن يبطأ بتقديمه على هذه السجادة .

فحاول كل واحد من الحاضرين أن يصل الى التفاحة من غير أن يدوس على السجادة ، ولكن أحداً منهم لم يوفق .

وأخيراً نهض ابراهيم ، وكانت ذراعاها قصيرتين، فاستغرب الطوال من الزعماء إقدامه بعد أن رأى عجزهم ، ولكن ابراهيم أخذ يهدوء طرف السجادة وبدأ

يطويها برفق حتى وصل الى قرب التفاحة ، دون أن يطاء على السجادة ، وهكذا استطاع تناول الطبق والتفاحة وقدمها الى والده.. فهناه أبوه ومنحه قيادة الحملة. تلك هي القصة المصنوعة .. والحقيقة هي ان محمد علي كان معجباً بابنه ابراهيم ويرى أنه أصلح رجل لإدارة حرب الدرعية ، فاختره قائداً لجيوشه في الجزيرة العربية !

وأما القصة التي ذكرها بلغرف ، فهي قصة قديمة ، فقد جاء في كتاب ( سراج الملوك ) للطرطوسي ، ما يأتي :

( يروى انه لما هم ملك الروم بحصار صقلية ، أمر أن يُبسط بساط في الأرض ، ثم جعل في وسطه ديناراً ، ثم قال لوجوه رجاله : مَنْ أخذ منكم هذا الدينار ، ولم يطاء البساط ، علمنا أنه يصلح للملك !

فوقفوا حوله ، ولم يصل اليه أحد ، فلما أعيام ذلك ، طوى — هو — ناحية من البساط من عنده ، وأمر كل واحد أن يطوي مما يليه حتى طوى البساط ، فمدوا أيديهم فلحقوا الدينار .

فحينئذ قال لهم : إذا أردتم مدينة صقلية ، خذوا ما حولها من الحصون والمدن الصغار والضياع والقرى ، حتى إذا ضعفت أخذتموها .. )

ويقول ابن سند إن السلطان محمود لم يكتفِ بفتح الحجاز ( بل أمر محمد علي أن يستأصل ملك الوهابيين .. فحينئذ عرف أن ابنه طوسون لا يسد في هذا المهم فأمره بالرجوع الى مصر وأمر أسد الديار المصرية ابنه الآخر ابراهيم باشا ، فجاء معه من عسكر الأكراد والارناؤوط وعرب مصر الهوارة ما يدك به الجبال .. ) — كذا —

**من هو ؟**

يقول مؤلف كتاب ( آثار الأدهار ) في وصف إبراهيم باشا :

( .. هو ابن محمد علي ، خديوي مصر ، وهو كبير ولده .

ولد بمدينة ( قواله ) من الروملي سنة ١٧٨٩ — أي سنة ١٢٠٤ للهجرة ، بعد تزوج أبيه بعامين .

كان ذا قامة مربعة ، يبلغ ارتفاعها نحو ذراعين وثلاث ذراع ، وكان ممتلئاً ، الجسم ، قوي البنية ، مستطيل الوجه والأنف ، أشهل العينين ، سوداوي المزاج أجش الصوت ، أشقر الشعر ، في وجهه أثر الجدري ، وقد جعلته الحروب وأهوالها أشيب وهو شاب .

وكان فيه رئاسة وهيبة ، تفعل بمن يتوسم ، مع همة عالية وبسالة ، لم ترعه معها الكوارث ، ولم تقوَ عليه المصائب ، وكان محباً لعساكره مع صرامة في إنفاذ القانون ومحافظة على النظام ، فكانوا لذلك يميلون إليه مع رغبة في طاعته ورهبة منه .

وكان عارفاً بالتركية والفارسية والعربية ، حافظاً تاريخ البلاد الشرقية . ولأه والده قيادة قسم من الجيش ، وهو ابن ست عشرة سنة ، فتخرج في أمور الجندية ، ثم ولاه عدة مقاطعات ، فتقلب في أمور الأحكام ( ١ ) .

إعداد الحملة وسفر إبراهيم باشا إلى الحجاز :

قضى محمد علي ستة أشهر في إعداد الحملة الجديدة التي عقد لواءها لابنه البكر إبراهيم باشا .

ويقول الجبرتي ، في أخبار سنة ١٢٣٢ هـ . ان محمد المحروقي ، رئيس تجار مصر ، الذي تولى من قبل تموين الجيوش المصرية ورافق طوسون إلى الحجاز ، كان هو نفسه ، ( المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان ومخاطباتهم وملاقات الأخبار الواصلة من الديار الحجازية .. وشحن السفن ، ولوازم الصادرين والواردين والمنتجين والمقيمين والراجلين ، والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشير وغوائلهم ومحاكلاتهم وإرغابهم وإرهايقهم وسياستهم على اختلاف أخلاقهم وطباعهم ..

وكانت متابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر إلى النواحي الحجازية

---

(١) أنظر كتاب آثار الأدهمار ، الجزء الأول ، تأليف جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة طبع عام ١٨٧٧ م . - ١٢٩٣ هـ . ولم تصدر منه الأجزاء الموعودة .

للإغارة على بلاد الوهابية وأخذ الدرعية مستمرة لا تنقطع ..  
والعرضي منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح ، وإذا ارتحلت طائفة  
خرجت أخرى مكانها ..  
.. وفي صفر تجردت عدة عساكر أتراك ومغاربة إلى الحجاز وصحبهم  
أرباب صنائع وحرف ..  
وفي جمادى الأولى .. سافر جملة من عساكر الأتراك والمغاربة ، وكبيرهم  
ابراهيم آغا .. وصحبته خزينة وجبخانه ومطلوبات لخدمته .. ) .  
ابراهيم باشا في القصير :

ويقول الرافعي ان ستة آلاف جبل نقلت المهات والذخائر والمؤن والمدافع  
إلى ميناء القصير ، لتسجن في السفن التي ترافق سفينة ابراهيم باشا ورجاله ،  
عند سفرهم إلى الحجاز .  
وقد جمع ابراهيم باشا ألفين من الفلاحين في أسبوط وضمهم إلى جنده  
وسافروا مع العسكر .

ابراهيم يتهدد عبد الله ويرفض هداياه :  
وصل ابراهيم باشا إلى القصير في شهر أيلول وأقام في هذا الميناء قليلاً ،  
وجاء في كتاب ( آثار الأدهار ) ان الامام عبد الله أرسل مندوباً من لدنه إلى  
مصر لمقابلة ابراهيم باشا ، فوصل المندوب إلى القصير ، وقدم إلى ابراهيم باشا  
هدايا كثيرة من الإمام عبد الله بن سعود ، ورسالة يطلب فيها عبد الله الموادة ،  
فرفض ابراهيم باشا أخذ الهدايا ، وقرأ الرسالة ، ثم قال للرسول :  
- اني سأجيب مرسلك في الدرعية !

ويقول بلغراف ان ابراهيم باشا ، بعد أن فرغ من قراءة رسالة عبد الله ،  
التفت إلى كاتبه وقال له : أحضر الرسالة التي كتبها عبد الله إلى أحد مشايخ  
عسير ، فقرأها فإذا عبد الله يحضه فيها على مقاومة ( حمار ) مصر ، الذي يعجز  
عن إلحاق أى أذى ببلاد نجد وستكون الهزيمة نصيبه ... الخ .  
وهنال قال ابراهيم باشا للرسول :

هذا ما يكتبه رئيسكم الينا ، وهذا ما يكتبه الى أنصاره (١) !  
لا جواب له عندي ، وسأقابه في الدرعية .  
فخذ هداياك وانصرف بسلام !

#### عدد الحملة ومدافعها :

يقول انكبرى ان عدد حملة إبراهيم باشا سبعة آلاف رجل ، بين مصريين  
وترك وشركس ومغاربة .

وكان معه خمسة مدافع ( عيار ١٢ ) ومدافع هاون كثيرة .  
وكان عدد الجبال التي تحمل مؤنه وذخائره عشرة آلاف جبل .  
وكان يستخدم أكثر من عشرين ألف جتال وبدوي .

#### الأموال :

ويقول ابن دحلان أن محمد علي أصحب ابنه ( من صناديق الأموال ما لا  
يدخل تحت حصر ) .

#### بعثة صحية ومستشار إفرنسي :

ويقول انكبرى ان إبراهيم باشا سأل ، قبل سفره ، عن أسباب فشل أخيه  
طوسون ، ف قيل له إن رأس الأسباب : تفشي المرض بين جنوده .  
ولذلك ألف بعثة صحية ، على رأسها طبيب ايطالي ، وسافرت معه .  
واصطحب معه كذلك ضابطاً افرنسياً ، اسمه فيسيير ، كان قد اشترك في  
حروب نابوليون ، واتخذته مستشاراً عسكرياً له .

#### وداع ابراهيم لأمه وقسمه :

ويقول انكبرى إن إبراهيم باشا لما ودّع أمه طوقت عنقه بقلادة من الأحجار  
الكريمة واستحلفته ألا ينزعها إلا ليضعها على قبر الرسول ﷺ في المدينة ،  
فعاهدا على ذلك ..

---

(١) أشار الشيخ عبد الرحمن بن حسن الى هذا الكتاب في مقاماته - انظر رأينا في  
الصفحات السابقة .

ويضيف مانجان إلى هذا ان إبراهيم باشا أقسم أنه لن يخلق لحيته حتى يحقق النصر .

#### ابراهيم باشا في المدينة :

يقول ابن بشر ، في أخبار سنة ١٢٣١ هـ . ( وفي هذه السنة جهز محمد علي العساكر الكثيفة .. إلى نجد مع إبراهيم باشا ، فسار إلى المدينة وضبطها ونواحيها ) . والحقيقة هي أن إبراهيم باشا وصل المدينة ، عن طريق ينبع ، في أوائل سنة ١٢٣٢ هـ .

ويقول مانجان إن ابراهيم باشا ، عند وصوله إلى المدينة ، ذهب إلى المسجد النبوي ووقف أمام ضريح النبي ﷺ وخاطبه قائلاً :  
( أنا إبراهيم ، ابن محمد علي ، الذي أنقذ المدينتين المقدستين ، مكة والمدينة . جئت إلى ضريحك ، لألتمس منك العون والمدد في الحرب التي أخوضها . فهبني الذكاء الوقاد الذي يكشف لي عن خطط الأعداء ويحميني من مكرم وأعطني القوة لأنتصر عليهم .

إن أعدائي هم أعدائك ، وبفضل معونتك وحمايتك سوف يتمزق شملهم .  
إنني أعاهدك أن سيفي لن يعود إلى غمده حتى أقضي عليهم قضاء مطلقاً ) .  
وما ندري إن كان هذا الخطاب الذي أورده مانجان - وهو مؤرخ موثوق - صحيحاً أو محرفاً ، ولكن خطاب النبي ﷺ على هذه الصورة نوع من الشرك لا شك فيه ، فالله سبحانه ، وحده ، هو الذي يعطي ويمنع !  
ويزعم مانجان ان ابراهيم باشا كسر أوعية الخمر التي جاء بها وأقسم أن يعتق عبيده الذين يشتركون معه في المعارك ، متى تم له النصر ، وقد فعل .

#### رأي سادلر في ابراهيم باشا :

كان رأي مانجان في ابراهيم باشا متأثراً ببعض المظاهر الخادعة ، ولكن المتابعين لسيرة ابراهيم باشا وتصرفاته يقولون انه كان يبالغ في السكر والفجور ، وقد كشف سلوكه عن قسوة نادرة وتنكر للعهود وشره الى جمع المال بكل

وسيلة وظلم شديد . وقد بلغه ، بعيد وصوله الى المدينة بقليل خبر و  
طوسون في مصر فلم يكثر لذلك .

وقد تحدث ( ويندر ) ، في كتابه الرائع ( العربية السعودية في القرن الـ  
عشر ) عن حوادث القتل التي تمت بأمر ابراهيم باشا أو بفعل ضباطه وجنود  
مع علمه بها ، فقال إنه لم يكتف بالقتل وإنما كان يهدم الدور والأسوار ويقطع  
الأشجار ويحرقها ، وكأنه يجد في ذلك لذة !

ونقل ويندر عن ( سدler ) – الضابط البريطاني الذي جاء من الخليج الفارسي  
ومرّ بنجد وكتب عنها ثم جاء الى الحجاز واجتمع بابراهيم باشا وفأوضه باسم  
الحكومة البريطانية – قوله :

( كان من سوء حظي أن أكشف بمشاهدات شخصية ، عن ناحية من أخلاق  
ابراهيم باشا .. ويجب عليّ الآن أن أزيد على ما قلته إن تاريخ المعارك الماضية  
قد أضاف الى أعمال ابراهيم باشا سلسلة من الفظائع الهمجية ارتكبها خلافاً  
للمهود التي قطعها مشددة بالآيمان المغلظة .

لقد كان ابراهيم باشا يسلب ، أحياناً ، أموال رجال القبائل الذين اشتركوا  
معه في الحروب وساعدوه على النصر .. وأما أعداؤه الذين هزمهم ونجوا من  
الموت فكان يأخذ كل ثرواتهم وإن كان كثير منهم لم ينجوا – مع ذلك – من غدره ،  
لأنه كان يقتلهم أيضاً لمجرد اللذة الطاغية التي يجدها في سفك الدماء البشرية ) .

### معارك ابراهيم باشا

#### في الحناكية والموتان :

خرج ابراهيم باشا من المدينة ، بعد انقضاء رمضان والعيد ، الى ( الحناكية )  
واتخذها معسكراً مؤقتاً ، وأخذ من هناك يغير على العربان ليرعبهم ويستدرجهم  
الى الخضوع اليه وموالاته ، وكان يشرك معه في غاراته رجال «حرب» المتحالفين  
معه وغيرهم ، ولم يكن يسر بشيء كسروره بما يصيب من المغانم وما يقتل من  
الرجال ، كأنه في رحلة صيد .. ويقول ابن بشر ان ابراهيم باشا نزل الحناكية  
( وأكثر الغارات على ما حولها من العربان وأخذ أموالاً وقتل رجالاً ، فاجتمع



عليه بوايد كثيرة من تلك الناحية، من حرب ومطير وغيرهم وعتيبة ومن عزة  
الدهامشة ) ثم أغار على ( الرحلة ) من حرب فأخذهم وقتلهم .

ويقول مؤلف آثار الأدهار ان ابراهيم باشا سار في ٢٧ يناير ١٨١٧ م . من  
الحناكية في ألف وثمانمائة مقاتل ( ومعه غانم ، شيخ بني حرب ، في خمسمائة  
فارس ، فغزا وغنم ، وعاد الى الحناكية بسلب كثير ، من جلته ٨٠٠ جل  
و ٤٠٠٠ رأس غنم ، فهابته قبائل العرب وأتوه سرباً صاغرين مستأمنين اليه ) .  
الموتان :

ويقول الجبرتي ، في أخبار سنة ١٢٣٢ هـ .

( في عاشره وصلت هجانة وأخبار عن ابراهيم باشا من الحجاز بأنه وصل  
الى محل يسمى ( الموتان ) فوق بينه وبين الوهابية قتال ، وقتل منهم مقتلة  
عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياماً ومدفعين .  
فضربوا - في القاهرة - لتلك الأخبار مدافع ) .

ولم نجد ذكراً للموتان ، التي اعتبرها الجبرتي أول قرية يستولي عليها ابراهيم  
باشا وراء الحناكية ، في ابن بشر ، ولكنها وردت في ( خلاصة الكلام ) ولعل  
المؤلف نقلها عن الجبرتي ..

سنة ١٢٣٢ هـ .

معركة ماوية :

يقول مانجان إن ضابطاً جاء من القاهرة الى ابراهيم باشا في الحناكية وأبلغه  
أن الباب العالي منحه رتبة باشا بثلاثة أذبال .. وفي نفس الوقت وصلته ثلاثة  
مدافع ، من مخلفات الحملة الفرنسية التي كانت غزت مصر بقيادة نابليون ..  
وكل ذلك قوى عزمه ، بعد أن كانت الأمراض المتفشية في جنده قد آلمته كثيراً ،  
وفي أواخر نيسان من عام ١٨١٧ م . قرر ابراهيم باشا متابعة التقدم صوب نجد ،  
وكان هدفه الأول الاستيلاء على بلدة ماوية . وقد استولى عليها بسهولة ويسر .

أول وهن وقع في المسلمين :

ويقول ابن بشر إن الإمام عبدالله خرج من الدرعية يريد الغارة على البوادي

التي ناصرت ابراهيم باشا، فلما عرفت هذه البوادي قصده التجأت الى الحناكية ، فرجع عبد الله الى نجح في عالية نجد ( فبلغه ان « علي أزن » ومعه عسكر من الترك وبوادي كثيرة ساروا الى « ماوية » ، الماء المعروف قرب الحناكية ، بينه وبينها يومين فنزلوها ، فتجهز عبد الله من خبرا نجح يوم ١٣ جمادى الآخر وأحضر ثقل القش في القصر وقصد ماوية .

فلما كان صبيحة الجمعة منتصف الشهر المذكور فاض عليهم في ماوية بغتة ، وهم على مائهم ، فحمل المسلمون عليهم حتى قربوا من محطة العسكر ، فتوّر الترك مدافعهم ، فخفّ بعض البوادي الذين مع عبد الله وانصرف عبد الله ومن معه ونزلوا قرب جبل ماوية ، قبالة الترك ، فثبت الترك وبواديهم لما رأوه نزل فوجهوا مدافعهم الى المسلمين ورموهم بها فأثرت فيهم ، فأمر عبد الله بعض المسلمين أن يرحلوا وينزلوا الماء ، فلما همّوا بالرحيل خفّت البوادي وتتابعت فيهم الهزيمة ووقع في قلوبهم الرعب ، فاتصلت الهزيمة في جموع المسلمين ، واختلطت الجموع بعضها في بعض ، وتبعهم الترك والبوادي وقتلوا رجالاً وأخذوا كثيراً من السلاح وغيره وسقط في الأرض من أهل الركائب .

وركب عبد الله في كتيبة من الخيل وحمى ساقة المسلمين .  
وهلك في تلك الهزيمة بين القتل والأسر والظمأ نحو مائتي رجل .  
وهذا أول وهن وقع في المسلمين ) .

#### سبب هزيمة عبد الله :

يقول ابن سند إن سبب خسارة عبد الله في معركة ماوية ، ثم في كل معركة ، ان رجاله كانوا يحاربون بالرماح والسيوف على الطراز القديم ، ومعهم بنادق بالفتيل ( فمساء ما يفك الوهابي بندقيته من جرابها ويولع الفتيلة ، يكون قد أصابه خمس رصاصات على الأقل ) من الجندي التركي الذي يملك بندقية حديثة سريعة الطلقات .

وهناك سبب آخر أضعف عبد الله وهو عداوته لقبائل حرب ، الذين يقيمون في منطقة الحناكية .

ويزعم ابن سند ان القائد ( ازن علي ) الأورفلي الكردي ، ومعه أكثر من مائتي فارس ، اقتحم مقدمة عسكر الإمام عبد الله ثم تبعه عربان حرب ، وان رجلاً شهد تلك الموقعة أخبره ان الخوف من صوت المدفع ومن اسم الترك ( الروم ) انتشر في جنود عبد الله ، ولولا اشتغال الترك بحزّ الرؤوس لكانوا أفنوا نصف جيش عبد الله ، ( فمن هذه الموقعة استسهل ابراهيم باشا محاربة الوهابيين وعرف انه لا طاقة لهم بمقابلة ... المدافع .. )

### بعد المعركة

#### محاولة لاسترداد ماوية :

يقول انكبرى إن مقاتلة عبد الله بن سعود عادوا إلى ماوية يحاولون استردادها ، ولكن حاميتها أطلقت عليهم المدافع واستولت على ما كان معهم من أفراس وأرز وقمح وذخائر .

#### يقتل الأسرى وينتظر المدد :

وقد أمر إبراهيم باشا بقتل الأسرى من النجديين .. وأقام في ماوية مدة ، ينتظر المدد من مصر ، فوصله ١٢٠٠ فارس وعدد من المشاة ومدفعان .

#### فيصل الدويش :

وجاء فيصل الدويش ، رئيس عشائر مطير ، إلى معسكر ابراهيم باشا ، وأعلن خضوعه اليه وإخلاصه للدولة ، وعداءه لعبد الله بن سعود ، الذي قتل أخاه ، ثم استأذنه في الإنصراف قائلاً : سأنتظركم في الرس (١) .

---

(١) يقول مانجان ان الدويش جاء الى ابراهيم باشا بعد انتصاره، وبدلاً من أن يجعله الباشا أميراً على الدرعية ، كما وعده ، طالبه بالتأخر من الزكاة عن خمس سنوات ، فتظاهر الدويش بالقبول ، فأرسل معه إبراهيم باشا ضابطين يرافقانه لاستلام المال منه .. ولما وصل فيصل الدويش إلى عشيرته ، قال للضابطين :

إذهبوا إلى مولا كما وقولا له : إنه لم يف بوعده لي ، فإذا أراد شيئاً مني فليأت إلي ..  
- أنظر الصفحة التالية -

### مشاهير القتلى في ماوية في رسالة السقاف :

لم يذكر ابن بشر أسماء أحد من القتلى في معركة ماوية ، وقد وجدنا في دار الوثائق في استانبول ، رسالة كتبها الشيخ أحمد السقاف العلوي إلى أمين كيلار طريق الحج ، جاء فيها إن عبد الله انهزم في ماوية ( وعمره ما حصلت عليه هزيمة مثل هذه ) وان المصريين غنموا ذخيرة وخياماً وخيلاً وثلاثة مدافع ، وقتلوا ابن حجيلان ، أمير القصيم ، وعماً لعبد الله بن سعود ، وابن عمه ، وإخواناً لعبد الله .. وفي الرسالة أيضاً ان إبراهيم باشا لم يحضر بنفسه معركة ماوية ، والله أعلم !

---

وهرب فيصل الدويش بعد ذلك إلى العراق .  
ولو أنه صدق في الدفاع عن بلاده إلى جانب عبد الله لكان لمؤازرته بعض الأثر في تخفيف  
الكارثة ، إن لم نقل في اجتنابها ..

## معركة الرس

في رسالة لابراهيم باشا :

كتب ابراهيم باشا ، في أواخر شعبان ١٢٣٢ هـ . رسالة الى والده يقول فيها ان عبد الله ذهب الى بلدة ( عنيزة ) وشرع في تحصينها ، ولذلك قرر نقل معسكره من الحناكية الى مكان أقرب الى عنيزة والدرعية ، حتى لا يترك لخصمه فرصة للاستعداد ، وهكذا غادر الحناكية في ١٥ شعبان وتحرك نحو بلدة ( الرس ) ، ولما وصل الى قرب قلعة الرس طوقها وأخذ يرميها بالمدافع لمدة خمسة أيام ، فهدم ثلاثة من أبراجها وقسماً من جدارها ، ثم أمر جنوده بالهجوم عليها فاستولوا على أحد البروج المتهدمة ، ولكن النجديين جمعوا أغصاناً من النخيل اليابس وأحرقوها أسفل ذلك البرج فلم يستطع الجنود احتمال النار والدخان ( فأخرجناهم من البرج ونقلناهم الى الخندق خارج القلعة .. ثم ملأنا الخندق وردمناه ليمر عليه جنودنا حين نأمرهم بالزحف ، وكان كل ذلك يجري أثناء القتال المستمر بيننا وبينهم ، وقد قتلوا منا نحو أربعين وجرحوا ستين .

وفيا نحن نستعد للزحف ودخول القلعة ، بلغنا ان عبد الله خرج من عنيزة وقصد الى القرية التي أرسلنا اليها فريقاً من جنودنا ليتمؤنوا منها بالقش والتبن ، فأجّلنا مهاجمة الرس وذهبت على رأس عدد من الخيالة لملاقاة عبد الله والدفاع

عن تمويننا ، وقد وفقنا الله فقتلنا من رجال عبد الله مائة وخمسين وجرحنا كثيراً من فرسانه وفرّ الباقيون ، ثم عدنا الى محاصرة الرس .

إن هذه القلعة مبنية بالحصى والطين ، وهي متينة جداً ، وجدرانها تتألف من ثلاث طبقات ، ويجب أن نصب على كل طبقة ستين قذيفة حتى تهدم ، وأسأل الله أن أوفق الى فتحها قريباً وأبشركم بذلك الخ .. )

### مقاومة الرس البطولية :

يقول سدler إن ابراهيم باشا عند وصوله الى ظاهر بلدة الرس أقسم انه لن يدع فارساً من فرسانه يترجل ولا خيمة من خيامه تنصب قبل أن يدخل البلدة ..  
وتقدم رئيس مدفعيته الى بُعد ثمانين خطوة من أسوار قلعة الرس وشرع برميها ، وكان الجنود المصريون يتلقون رصاصاً منهمراً من حاة القلعة فيقتل منهم عشرة أضعاف من يقتلون هم من النجديين .

استطاعت المدفعية المصرية بعد رمي موصول خلال ثلاثة أيام أن تحفر ثغرة في البرج فأحضر الجنود أكياساً من القش وسعف النخل وملأوا بها جانباً من الخندق المحيط بالقلعة ليمروا فوقه الى الثغرة ويزحفوا الى القلعة ..

وقد أمر ابراهيم باشا ستائة من خير مشاته بالزحف عبر الخندق المردوم الى القلعة ففعلوا ، ولكنهم لم يستطيعوا تسلق الأسوار ، وكان الرصاص ينهمر فوقهم .. بينما لا يستطيعون التراجع لأن ابراهيم باشا أمر رجالاً بقتل كل جندي منهم يتقهقر .. وقد رفض كذلك دفن الذين قتلوا منهم ..

امتد حصار المصريين للرس ثلاثة أشهر ونصف الشهر ، أظهر خلالها النجديون في الرس أنهم كانوا أكثر علماً بالحرب من القائد التركي ..

استهلك ابراهيم باشا في رمي الرس بالمدافع ثلاثين ألف حلقة من القنابل ، وأطلقوا من الرصاص ببندقياتهم حمولة أربعمائة جل ..

وقدرت خسائر الجيش في محاولة الزحف التي قام بها بتسعمائة قتيل وألف

جريح ..

وصنعوا من أشجار النخيل ما يشبه البرج ونصبوا عليه المدافع ليرموا البلدة من علو ، فلم يجد ذلك .

وأخيراً اقتنعوا بأن أسوار البلدة مصنوعة من مادة لا تنفذ منها القنابل ، ولم يبقَ أمام الباشا إلا رفع الحصار ، وترك الرس لأهلها .  
رواية انكيري :

ويقول انكيري : ذهب ابراهيم باشا الى الرس في ٨ يوليو ، ولحقه اليها فيصل الدويش ..

لم يعاين ابراهيم باشا بلدة الرس ويختبر مواضع الضعف فيها ، وكان ذلك خطأ كبيراً منه ، لأنه كان يطلق المدافع عليها دون هدى ، وربما فعل هذا لاعتلال صحته ورغبته في استعجال الأمور ، ومع العجلة الزلل .

فقد ابراهيم باشا في الرس أكثر من ثمانمائة من رجاله وندم لما كان منه ، وكان يمني الجنود ويعدهم بقرب وصول المدد من مصر وطال الحصار كثيراً ..  
ولو أن عبد الله بن سعود جاء الى الرس على تلك الحال لدحر المصريين ..  
ولكن عبد الله لم يفعل وكأنه هو أيضاً كان ينتظر المدد ..

رواية آثار الأدهار :

وفي آثار الأدهار ان ابراهيم باشا سار من الماوية ( في أربعة آلاف رجل وألف ومائتي فارس ما خلا التابعين من الأعراب ، قاصداً مدينة الرس ، فنازلها ورماها بالكرات ستة أيام متوالية ، وهاجمها ثلاث مرات ولم يتمكن من اقتحامها ، وكانت بينه وبين حاميتها معارك قتل بها من عسكره زهاء ٣٤٠٠ مقاتل ، ولم يهلك من عساكر الوهابية إلا نحو ١٦٠ مقاتلاً وجرح منهم جماعة .  
ثم هادن أهل المدينة على أن يرحل عنها ولا يدخلها ، فوادعوه على أن يكون له حق بإقامة طائفة من جنده بها إذا استولى على بلدة عنيزة ) .

رواية مانجان وفيسير :

يقول مانجان ان ابراهيم باشا أخفق مراراً في اقتحام الرس ، وانه عمد الى حيلة ظنها ناجحة لحمل أهالي الرس على الاستسلام ، وذلك انه قتل عدداً من

النجديين ووضع جثثهم أمام سوار الرس ليراها السكان ويخافوا ويستسلموا ،  
ولكنهم استمروا في مقاومتهم الباسلة .  
وقد كتب ابراهيم باشا الى فيصل الدويش يستقدمه الى الرس فحضر مع  
رجال من عشائره وقدم المؤن ووسائل النقل .  
وفي النهاية صالحت حامية الرس ابراهيم باشا على عدم محاربته ، وعلى القبول  
بدخول حامية مصرية الى البلدة ، متى استولى المصريون على عنيزة .  
خسر المصريون في حصار الرس ٣٤٠٠ رجل ، ولم يخسر النجديون سوى  
١٦٠ رجلاً ) .

ويقول قنصل فرنسا في القاهرة ان المستشار الفرنسي الحربي لإبراهيم باشا  
( فيسير ) أخبره ان خسائر المصريين في الرس بلغت ثلث مجموع قواتهم .  
**معركة الرس في رواية ابن بشر :**

يقول ابن بشر ان ابراهيم باشا سار الى الرس فوصلها في ٢٥ شعبان سنة  
١٢٣٢ هـ . وكان ( معه من العدد والعدد والكيد الهائل ما ليس له نظير ، وكان  
معه مدافع وقبوس هائلة ، كل واحد يثور مرتين : مرة في بطنه .. ومرة تثور  
رصاصته وسط الجدار بعد ما تثبت فيه فتهدمه .. )  
وقد ثبت له أهل الرس وأمدّهم عبد الله بن سعود برجال من عنده ،  
مرابطة ، ( وحاصروهم الترك أشد الحصار ، وتابعوا عليهم الحرب في الليل والنهار ،  
كل يوم يسوق الباشا على سورها صناديد الروم ، بعد ما يجعل السور في الأرض  
« مهدوم » ، فأنزل الله السكينة على أهل البلاد والمرابطة وقاتلوا قتال من حمى  
الأهل والعيال ، وصبروا صبراً ليس له مثال ، فكما هدمت القبوس السور  
بالنهار بنوه في الليل ، وكما حفر الترك حفراً للبارود حفر أهل الرس تجاهه  
حتى يبطلوه ، وبعض الأحيان يثور عليهم وهم لا يعلمون .  
وطال الحصار الى اثني عشر ذي الحجة .  
وذكر ان الترك رموا في ليلة خمسة آلاف رمية بالمدافع والقنابر والقبس ،  
وأهلكوا ما خلف القلعة من النخيل وغيرها .



هذا وعبدالله بن سعد وجنوده المسلحون في عنيزة .. فأرسل أهل الرس إليه إما أن يرحل إلى الترك ويناجزهم ، وإما أن يأذن لهم بالمصالحة . وأقبل عساكر وقبوس وأمداد من الترك كثيرة ونزلوا على إبراهيم ومن معه في الرس ، واستعظم أمره ، وكثرت دولته ، ف وقعت المصالحة بينه وبين أهل الرس على دمائهم وأموالهم وسلاحهم ، وبلادهم وجميع من عندهم ، والمرابطة يخرجون إلى مأمئهم بسلاحهم ويجمع ما معهم . وقد خرج المرابطة من الرس وقصدوا عبد الله في عنيزة . وقتل من أهل الرس والمرابطة في هذا الحرب نحو سبعين رجلاً ، وقتل من عسكر الترك ما ينيف على ستائة رجل . ) .

خطأ عبد الله في رأي الجنرال فيغان :

أخطأ إبراهيم باشا في حصار الرس لأنه لم يعمل بنصيحة مستشاره فيسيير ، الذي أشار عليه باختيار المواضع المناسبة لمدافعه قبل رمي البلد ، ولكن خطأ عبد الله أفظع ..

ويقول الجنرال فيغان أن عبد الله بن سعود أخطأ خطأ لا يغتفر بعدم اتباع الخطة الحربية البارة التي قيل أن بعض رجاله نصحوه بها . كان يجب عليه :

- ١ - أن يحمل على الترك بعشرة آلاف مقاتل ويستدرجهم إلى الصحراء .
- ٢ - أن يرسل ثلاثين ألف مقاتل للاستيلاء على البلدة ثم يأتي هو بجيش آخر من وراء إبراهيم باشا ..
- ٣ - أن يرسل فرقة ثالثة إلى الحجاز ، لتسترد بمساعدة اليانين ، مكة والمدينة ..

ولو كان عبد الله على حظ من التفكير الحربي السليم لاستفاد من حالة اليأس التي غمرت المصريين لمجزهم عن الإستيلاء على الرس فهجم عليهم وغلبهم . لكن عبد الله لم يهتم بمساعدة أهل الرس وإنما كان مهتماً بالدفاع عن الدرعية جاهلاً أن الدفاع عن الرس هو دفاع عن الدرعية .

كان يجب على عبد الله أن يتبع الخطة التي اتبعها الأمير عبد القادر الجزائري في حربه ضد الافرنسيين . كانوا يملكون جيشاً مؤلفاً من مائة ألف مقاتل ، ولكن عبد القادر استطاع الصمود أمامهم سبع سنوات ، وذلك انه وضع لنفسه سياسة حربية في منتهى الذكاء وتلخص خطته في قيامه بهجمات خاطفة على الافرنسيين وعلى خطوط مواصلاتهم ، ثم الانسحاب فجأة .. ولو طبق عبد الله هذه الخطة في جزيرة العرب لكان نجاحها مضموناً .

### هل جرت مفاوضات للصلح خلال حصار الرس ؟

يقول مانجان إن عبد الله بن سعود بدلاً من الهجوم على ابراهيم باشا أثناء حصاره الفاشل للرس ، بعث اليه الشيخين محمد الحنبلي وعبد العزيز بن محمد يعرضان عليه الصلح فرفض ..

ثم كرر عبد الله طلبه بواسطة صالح بن رشيد فطلب ابراهيم باشا أن يدفع اليه عبد الله نفقات الحملة ومتأخر رواتب الجنود وألفي حصان وثلاثة آلاف جمل ومؤن لستة أشهر ، ويقدم اليه اثنين من أولاده رهائن .. فقال له رسول عبد الله : ما هذا ؟ إنك تفاوض سلطان نجد ، ولا تتخاطب فلاحاً مصرياً .

ولم ينعقد الصلح ..

ويقول انكيري إن ابراهيم باشا قال لرسول عبد الله : إنه يخدعني بطلبه ، بينما يثير البدو ويجمعهم ضدي .

وكان الرسول يحمل هدايا معه فرفضها ابراهيم باشا ، وكان الرسول خاف من مغبة الرفض وسوء أثره في الدرعية ، فباع الهدايا واشترى ١٢ عبداً ، وأشاع قبل دخوله الدرعية أنه نجح في مهمة وأن ابراهيم باشا أرسل معه هؤلاء العبيد هدية ..

ولما استقبله عبد الله قال له : أبعد الناس ، ولما خلا به ، قال له : لم أشأ إضعاف روح رجالنا . لقد نظر ابراهيم باشا إلى هداياك بازدراء ورفضها وأجاب أنه قادم إلى الدرعية ، فخذ حذرَكَ . إن جيشه رغم ما حلَّ به ما زال قوياً ..

وهذه الروايات أقرب إلى الخيال ولكننا لا نملك نفيها تماماً، ويضعفها عندنا أنها تروى أحياناً عن محمد علي أو طوسون أو عن إبراهيم نفسه ، ولكن في مناسبات أخرى !

**لولا الدويش لرجع إبراهيم باشا عن القصيم !**

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في « المقامات » إن إبراهيم باشا نزل ( القصيم وحاربهم قدر شهرين ، وأيدهم الله بالنصر لما كانوا مستقيمين صابرين ، وعزم على الرجوع عنهم ، لكن فيصل الدويش - قاتله الله - قوَّى عزمه وطمَّعه وخوَّفَه ، وبعد هذا صالح أهل الرس ) ..

## الخبرا وعنيزة

الخبرا :

سار ابراهيم باشا من «الرس» إلى «الخبرا» فاستولى عليها في سهولة ويسر.. ويكتفي ابن بشر من أخبار استيلاء إبراهيم باشا على بلدة الخبرا بقوله انه نزل الخبرا بعساكره ، ( فلما نزلوها وقع الرعب في قلوب المسلمين وتفرقت البوادي ) .

عنيزة :

سار ابراهيم باشا بعد استيلائه على الخبرا إلى عنيزة ، وكان عبد الله في عنيزة ، ولكنه لم يبقَ فيها لمواجهة إبراهيم باشا ومقاومته ، واكتفى ، كما يقول ابن بشر ، بوضع مرابطة من أهل نجد فيها « في قصر الصفا » وجعل لهم في القصر ( شيئاً كثيراً من الطعام والبارود والخطب وجميع ما يحتاجون اليه ) ثم رحل إلى بريدة .

( ثم إن الباشا وعساكر الترك رحلوا من الخبرا إلى عنيزة ، ونازلوها فسامت لهم البلد وأطاعوا لهم .

وامتنع أهل القصر ، فجزّ عليهم القبوس والقنابر ورموا بها رمياً هائلاً يوماً وليلة ، وعمل الباشا زحافات دون رصاص أهل القصر وقرب منهم القبوس والقنابر فثلم جدار القصر ، ووقعت رصاصة من القنبر في القصر ، وجعلها الله

سبحانه على جبخانهم، وكان في موضع خاف في بطن الأرض مسقف عليه بنحش كبار وفوقه طين وتراب .. فثار الجبخان وهدم ما حوله ومات بسببه رجل أو رجلان .

فلما رأى أهل القصر أن البلد أطاعت له وأن سور القصر هدم عليهم طلبوا المصالحة من الباشا فصالحهم على دمائهم وأموالهم وسلاحهم ، فخرجوا من القصر ودخله الترك ، ورحل المرابطة إلى أوطانهم .

فلما بلغ ذلك عبد الله ، وهو في بريدة رحل منها وقصد الدرعية ، وأذن لأهل النواحي يرجعون إلى أوطانهم ( .

### رسالة القنصل الافرنسي :

ويقول القنصل الإفرنسي في القاهرة في رسالتين أرسلهما إلى وزير الخارجية بباريس إن عنيزة استسلمت ليلة ١٧ نوفمبر سنة ١٨١٨ م . ، بعد انفجار مستودع للبارود ، ووجد المصريون فيها أربعة مدافع .

ويبلغ عدد سكان عنيزة ثمانية آلاف نفس .

وقد بني حصنها خلال سبعين سنة .. وهو ثخين جداً ، وكان الناس يظنون أن عنيزة مدينه منيعة لا يرام قهرها بسبب مناعة حصنها العظيم ، ولذلك قال صاحب الرس لإبراهيم باشا : سنسمح لحامية مصرية بالإقامة في بلدتنا متى تم لكم الاستيلاء على عنيزة ..

وكان هذا القول ينطوي على شيء من السخر والمكر .

ولكن عنيزة سقطت .. و «فسير» – الضابط الإفرنسي – هو الذي نظم الحصار وأدار المعركة ، فلم يقاوم المقاتلون في عنيزة ، من وراء حصنهم ، أكثر من ستة أيام ثم استسلموا .

وتعاضمت ثقة إبراهيم باشا بمستشاره الإفرنسي بعد هذا النصر ، فكان رأيه هو المتبع عنده .

ويقول انكبرى ان ابراهيم باشا لم يستعمل الشدة مع النجديين الذين قاوموه  
وإنما طلب منهم أن يلقوا سلاحهم ويخرجوا من عنيزة ، ففعلوا .  
بريدة والمذنب وأشيقر :

ويقول ابن بشر ، في أخبار سنة ١٢٣٣ هـ . ، ان الباشا ارتحل من عنيزة ،  
وقصد ( بريدة ) ونازل أهلها فأطاعوا له ، ثم رحل منها وأخذ معه أميرها  
وعددًا من أعيانها ، كعادته في كل بلد يستولي عليها ثم يرحل منها ، ثم سار الى  
( المذنب ) ثم الى بلد ( أشيقر والفرعة فاستأمنوه ودخلوا في طاعته ) .

### شقراء

في رسالة ابراهيم باشا :

يقول ابراهيم باشا في رسالة الى والده محمد علي انه وصل ( شقراء ) ، وبدأ  
حصارها في ١١ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ . - ٢٥ يناير ١٨١٨ م . وانه بدأ برمي  
السور والأبراج المبنية في البساتين وكان عدد تلك الأبراج نحو عشرين ، وقد تهدم  
شطر كبير من السور بعد رميه بالقنابل مدة أربع وعشرين ساعة ، فهجم العساكر  
على الأبراج وقتلوا عددًا من حماتها واستولوا عليها .

ثم أدنيت المدافع من سور القلعة واستمر الرمي ثلاثة أيام حتى تهدم جزء من  
جدار القلعة ، فتعالت صيحات الأهالي وقد رأوا تقوض البروج والأسوار والقلعة  
وكثرة القتلى والجرحى طالبين الأمان قائلين : ( إرحم عيالنا واعفُ عن تقصيرنا  
يا ابراهيم ) ..

ثم جاء عدد من وجهاء البلد الى ابراهيم باشا يعرضون الولاء ويطلبون  
المصالحة ، فأمنهم واشترط عليهم تسليم المدافع الخمسة الموجودة في القلعة وجميع  
الأسلحة التي يملكها المقاتلون النجديون الأربعمئة الذين وضعهم عبد الله في القلعة  
مددًا ، وأن يتعهد الأهالي ببيع العساكر كل ما يطلبونه من الميرة ..

رواية ابن بشر :

يقول ابن بشر إن أهل شقراء كانوا يتوقعون غزو بلدتهم ولذلك قاموا بتعميق  
وتوسيع الخندق الذي كانوا بدأوا في حفره وقت طوسون فلما وقع الصلح أهلوه ،

وقد أمرهم باتخاذ الاستعدادات للغزو أمير شقرا والوشم حمد بن يحيى ، فقاموا في حفر الخندق ( أشد القيام ، واستعانوا بالنساء والولدان لحمل الماء والطعام ، حتى جعلوه خندقاً عميقاً واسعاً ، وبنوا على شفيره جداراً من جهة السور .  
ثم ألزمهم - أميرهم - كل رجل غني يشتري من الخنطة بـعدد معلوم من الريالات ، خوفاً أن يطول عليهم الحصار ، فاشتروا من الطعام شيئاً كثيراً .  
ثم أمر على النخيل التي تلي الخندق والقلعة أن تشذب عسانها ولا يبقى إلا خوافيها ، ففعلوا ذلك وهم كارهون ، لأن أهل هذه البلدة هم المشار اليهم في نجد ، والمشهورون بالمساعدة للشيخ وعبد العزيز ومن بعدهم ) .

### حصار شقرا والصلح :

بدأ ابراهيم باشا حصار شقرا ، كما يقول ابن بشر ، يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣ هـ . وكان قد جاء مع طليعة ومدفع يوم الخميس فدار حولها ( وقاسها وعرفها وعرف موضع منزله ومنزل عسكره وقبوسه ..

فلما كان صبيحة الجمعة رحل من اشيقر بمخيمه وعساكره وقبوسه ومدافعه وقنابره - وكان قد أتى اليه امداد من العساكر والقبوس وصار في قوة عظيمة - فسار الى شقرا فنزل أسفل البلد وشمالها ، فخرج اليه أهلها ، فساق عليهم الباشا الترك ، فوقع بينهم قتال شديد في وسط النخيل وخارجها ، فقتل من الترك قتلى كثيرة وجرح عليهم جرحى عديدة ، فنكاثر عليهم افزاع الترك ، وجرح الأمير حمد بن يحيى ببندق جرحاً شديداً فدخلوا البلد واحتصروا فيها .

ثم ان الباشا جرد القبوس والقنابير والمدافع وجعلها فوق المرقب ، الجبل الشمالي ، فرمى البلد منه رمياً هائلاً أرباب ما حوله من القرى والبلدان من أهل سدير ومنبخ وأهل المحمل وغيرهم ، حتى سمعه من كان بالحرمه ومجزل وما حولها .

فلما احتصر أهل البلد فيها أنزل قبوسه ومدافعه وقنابره من رأس الجبل وقرتها من السور وحقق عليهم الحرب والرمي المتتابع ، حتى قيل انه رماها في ليلة بثلاثمائة حمل من الرصاص والبارود .

وذكر لي رجل كان في وسطها ، قال : ( إن رصاص القبوس والمدافع والقنابر يتضارب بعضها ببعض في الهواء فوق البلد وفي وسطها ) .

ثم إنه هدم ما يليه من سورها ، وقطع نخيلها إلا القليل ، وأهل البلد ثابتون وفي أكنافها يقاتلون .

فقرّب الباشا القبوس من السور ، وهدم ما يليه من الدور والقصور ، فحماهم الله سبحانه ، وكف أيدي الترك عنهم ... فكلماهم الترك بالحملة عليهم انثنى عزمهم لأجل الخندق ولأجل ما أذاقوهم من شدة القتال أول نزولهم ، فصار الخندق من الأسباب لثبات أهلها لأنه لا يرام ..

وفي كل يوم وليلة والباشا يناديهم ويدعوهم الى المصالحة ويأبون عليه . فلما كان يوم الخميس وقعت المصالحة بين الباشا وبينهم ، خرج اليه رجلان من رؤساء أهلها فصالحوه على دمائهم وأموالهم وما احتوت عليه بلدهم .

رواية مانجان :

في ١٣ يناير سنة ١٨١٨ م . خرج ابراهيم باشا على رأس ثمانمائة فارس يستكشف أطراف شقراء ، ويختار مكاناً يقيم فيه معسكره ، فجرت بينه وبين النجديين مناوشة يسيرة قتل فيها اثنان من رجاله وجرح نفر منهم ، وفي المساء عاد ابراهيم باشا الى مخيمه وأمر الرؤساء بالاستعداد للرحيل صباح الغد .. كانت المسيرة بطيئة ، لأن المدفعية كانت مضطرة الى شق طريقها خلال رمال متحركة .

كان عدد العساكر أربعة آلاف وخمسمائة مقاتل ، يتبعهم ستة آلاف بعير محملة بالمؤن والذخائر .

وقد وصلوا الى شقراء عند الظهر ، وأنزلهم ابراهيم باشا الى الشرق من البلدة ، وأمر المشاة بأن يطلقوا رصاصهم ، بينما اتخذت المدفعية أمكنة لها في مرتفعات مناسبة وأخذت ترمي البلد بقنابلها رمياً شديداً ، وفي اليوم الثالث للهجوم أمكن إحداث ثغرات في أسوار البساتين ، فانطلق الجنود يهجمون على الدور المتناثرة في بساتين البلدة الخارجية ، فقاومهم النجديون بشدة وأجبروهم على



الانسحاب ، ولكن النجديين لم يستطيعوا الصبر على القنابل والقذائف فانسحبوا وتحصنوا داخل أسوار المدينة .

استولى المصريون على ما في البساتين من دور وتحصينات ، وبعد أن تمّ لهم ذلك شرعوا في بناء تحصينات خاصة للمدفعية واتبعوا في محاصرة البلدة وترتيب الهجوم عليها الخطط التي وضعها المستشار الافرنسي فيسير ، حتى لا يتكرر الخطأ الذي ارتكبه في حصار الرس .

كان المصريون يظنون أن الحصار قد يطول ، فحملوا الى مخيماتهم أعداداً هائلة من الأغنام والجمال وأصناف الطعام ، وكثير من ذلك كانوا غنموه في غاراتهم على العشائر المعادية .

وبعد الانتهاء من ذلك كله أخذت المدفعية ترمي البلد بقذائفها ، واستمر هذا القذف ستة أيام ، وفي اليوم السادس أرسل أهالي شقرا ورجال حاميتها رسولا الى ابراهيم باشا يعرض عليه المصالحة ، فتوقف القتال ساعتين لإجراء المفاوضات ، ولكنها لم تسفر عن اتفاق ، فاستؤنف القتال .

ثم عادت الحامية فأرسلت مندوباً آخر يحمل شروطاً جديدة للصلح ، فوافق عليها الباشا ، وأعطى أمير شقرا حمد بن يحيى - وهو قريب لعبد الله بن سعود لأنه زوج أخته - منديلاً أبيض ، رمز الأمان ، ففتحت المدينة أبوابها لإبراهيم باشا وعسكره وقت الظهر .

كان في شروط الصلح : أن مقاتلة شقرا ، وعددهم ١٤٠٠ مقاتل ، يلقون أسلحتهم ويعودون الى بلدانهم بعد تعهدهم بأنهم لن يشتركوا في أي قتال .

وكان عند حامية شقرا خمسة مدافع ، يدير رمايتها ضابط تركي فار من جيش طوسون ، فطلب الباشا تسليمها فسلمت اليه ، واستولى الباشا كذلك على كل ما كان في شقرا من سهام وسيوف وبنادق وذخائر ، ولكنه وزعها على حلفائه من العشائر وأهل نجد .

ووجد ابراهيم باشا في شقرا من القمح والأرز والشعير ما يكفي عسكره شهراً كاملاً .

سقط من أهالي شقرا وحاميتها مئة وسبعون قتيلاً وجرح مائتان ، بينهم  
خمس وثلاثون امرأة وعدد من الاطفال . ولم يعرف عدد الأسرى الذين أمر  
ابراهيم باشا بقتلهم .

أما خسارة الترك فكانت مائة وثلاثين قتيلاً وعدداً كبيراً من الجرحى .

#### الآذان المقطوعة :

كتب ابراهيم باشا ، بعد استيلائه على شقرا ، الى والده يبشره بهذا النصر  
السريع على أعظم بلدة محصنة في نجد .. وأرسل مع الهجانة عدداً كبيراً من  
آذان الشهداء النجديين الذين قتلهم لتكون « دليلاً » على فعالة وفتكه ، وقد  
تكرر من ابراهيم باشا هذا النوع من التمثيل الذي تنكره الديانة والأخلاق ،  
ويستوجب لفاعله الخزي والعار ، لا الفخر والزهو ..

#### الاستعداد للهجوم على الدرعية :

كان انتصار الباشا في شقرا مغرياً له بالإسراع في الهجوم على الدرعية ، فطلب  
من والده امدادات قوية ، ويقول القنصل الإفرنسي روجل ان محمد علي لبى  
طلب ابراهيم فأرسل اليه ٩٠٠٠ جندي .

وقدّر روجل عدد أزواج الآذان المقطوعة التي أرسلها ابراهيم الى أبيه  
ليتنعم هو ورجاله برؤيتها بألف ومائتي زوج .. لعل بعضها أخذ من الجرحى  
فزادهم تشويهاً وهم أحياء ..

#### الباشا يرحل من شقرا ثم يعود للانتقام :

يقول ابن بشر ان الباشا رحل من شقرا بعد أيام من المصالحة ، فوشى بأهل  
شقرا رجل وزعم له ان بعض الأهالي رحلوا الى الدرعية وأنهم سينقضون العهد  
ويحاربونه الخ .. فدخل الباشا البلد مفضباً بعدد كبير من عسكره ،  
واستدعى اليه أمير البلدة الجريح وخاطبه بشدة ، واستدعى كذلك الشيخ  
العالم عبد العزيز الحصين وحدثه بما جرى من أهل البلد ، ولكن الحاضرين في  
مجلسه أقنعوه بالأدلة القاطعة على كذب الواشين ( فكفى الله شره .. وأمرهم

أن يخلوا بيوتاً للجرحى الذين جرحوا في الحرب ففعلوا.. وهدم سور البلد ودفن خندقها وأقام عليها نحواً من شهر ثم ارتحل منها ومعه عشرة من رؤسائهم ) .. ذلك ما يقوله ابن بشر ولكن مانجان يقول ان سبب عودة الباشا الى شقرا البرد وهطول الأمطار بفزارة مما جعل مسير العساكر متعذراً. وأما هدم السور فقد وقع بعد الإستيلاء على الدرعية .

## بطولة ضرمى

حاصر ابراهيم باشا بلدة ضرمى<sup>(١)</sup> أربعة أيام، رماها خلالها رمياً هائلاً بالمدافع حتى تهدم سورها ثم قاتل أهلها في الأسواق والبيوت ، ثم اقتحم البلدة عنوة فوجدها خالية من أهلها باستثناء النساء والأطفال والمعجزة.. فجمعهم وقال لهم أن يذهبوا الى الدرعية ، يريد من وراء ذلك أن يلقي الرعب في نفوس أهل الدرعية فيسهل عليه الاستيلاء عليها ..

لم يكن حصار ضرمى وحربها طويلين، لأن سور البلدة لم يكن متيناً كسور شقرا، وأما القلعة فلم يكن لها سور ولا حولها خندق، وكل هذا مكّن المدفعية المصرية من الفتك بالأهالي فتكاً ذريعاً ، ولكن الأهالي قاوموا الغزو ببسالة اسطورية ورفضوا عرض الصلح ، ويقدر ابن بشر عدد سكان ضرمى بألف ومائتي رجل، استشهد منهم ثمانمائة ، ولكنهم قتلوا من جنود ابراهيم باشا خلال الهجوم الكبير ما يقرب من هذا العدد ..

بدأ الغزو المصري صباح ١٤ ربيع الثاني ١٢٣٣ هـ . فقد وصل الباشا يومئذ الى شرقي البلد ونزل بعساكره وثقله وخيامه قرب قصور المزارحيات ، قال ابن بشر : ( ثم سارت العساكر بالقبوس والمدافع والقنابر ونزلوا بها شمال البلد قرب

---

(١) « ضرمى » ، كما أثبتتها ابن غنام ، وجاءت في ابن بشر هكذا : « ضرماء » ا

السور ، فثار الحرب بين الترك وبين أهلها ، وحقق الباشا عليهم الرمي المتتابع وحربهم حرباً لم يروا مثله وثبت الله أهل البلد فلم يعبأوا به ، وطلب منهم المصالحة فأبوا عليه ولم يعطوه الدنية .

— وكانت هذه البلد ليس في تلك النواحي أقوى منها ، بعد الدرعية ، رجالاً وأموالاً وعدداً وعدة .. —

.. ثم حشدت عليهم عساكر الترك ، وثلثوا السور بالقبوس والمدافع فلم يحصلوا على طائل .

ثم حشد الترك عليهم أيضاً وقربوا القبوس من السور وحاربوها حرباً عظيمة هائلة ، فهدموا ما والاها من السور . ( ذكر لي انهم عدّوا فيما بين المغرب والعشاء الآخرة خمسة آلاف وسبعمائة رمية ما بين قبس ومدفع وقنبر ) .

ثم ان الباشا ساق الترك عليهم ، وأهل البلد ثابتون فيه ، فحمل الترك عليهم حملة واحدة ، فثبتوا لهم وجالدوهم جدال صدق ، وقتلوا منهم نحو ستائة رجل ، وردّوهم الى باشتهم .

.. وبنوا بعض ما انهدم من السور .

فلما رأى الباشا صبرهم وصدق جلادهم ، أمر على بعض القبوس وصرفها الى جنوب البلد ، وفيه متعب بن عفيصان ومن معه من أهل الخرج ، فرماهم بتلك القبوس .

وكان الحرب والضرب والرمي متتابعاً على أهل البلد من الترك في الموضع الأول ، وجميع أهل النجدة من أهل البلد والمرابطة قبالتهم ، عند السور المهدوم ، في وجه القبوس والقنابر ، فلم يفجأهم إلا الصارخ من خلفهم ان الترك قد خلفوكم في أهليكم وأولادكم وأموالكم ، فكروا لبلدهم راجعين ، وكرّت عساكر الترك في أثرهم ، وذلك بعد صلاة الصبح ١٧ ربيع الثاني .

وكانت تلك الليلة التي حصلت فيها شدة هذا الحرب من إرادة الله سبحانه وقدره ، لما أراد الله أن يمضي أمره ، صبّ السماء عليهم تلك الليلة بالمطر ومعه برد شديد يجمد منه في الجو القطر ، وكانت البلد ليس على قلعتها سور ، بل

أسواقها عابرة من كل جهة الى نخيلها ، والسور المذكور خارج النخيل .. ودخلت الترك البلد من كل جهة وأخذوها عنوة ، وقتلوا أهلها في الأسواق والسكك والبيوت ، وكان أهل البلد قد جالدوهم في وسطها الى ارتفاع الشمس ، وقتلوا من الترك قتلى كثيرة ، ولكن الترك خدعهم بالأمان ، ذكر لي انهم يأتون الى أهل البيت والعصابة مجتمعة فيقولون لهم : أمان .. أمان .. ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم ، وقد نهبوا جميع ما احتوت عليه البلد من الأموال والأمتاع والسلاح واللباس والمواشي والخيل وغير ذلك ) .

ويقول ابن بشر ان الامام عبد الله بن سعود كان أمد ضرمى قبل وصول ابراهيم باشا اليها بالمرابطة من الدرعية وغيرها ، فأرسل اليها سعود بن عبد الله ابن محمد بن سعود في عدد من رجال الدرعية وغيرهم ، ومتعب بن ابراهيم بن عفيصان بعدد من أهل الخرج وغيرهم ومحمد العميري بعدد من أهل ثادق والمحمل ، فلما استولى العساكر على البلد ( خرج العميري المذكور في شردمة رجال من أهل ثادق والمحمل ، بعدما قتل بعضهم ، فجال عليهم الترك فضربوهم بالرماح والسيوف حتى خلصوا من بين أيديهم ونجاهم الله . واحتصر سعود المذكور في قصر من قصور البلد ومعه أكثر من مائة رجل من أهل الدرعية وغيرهم فأرسل اليهم الباشا وأعطاهم الأمان على دمائهم فخرجوا وساروا الى الدرعية ولم ينلهم مكروه .

وهرب رجال من أهل البلد وغيرهم في البرية على وجوههم فبين تاج ومقتول . وبقيت البلد خالية من أهلها ، وجمع الباشا جميع ما فيها من النساء والذرية وأرسلهم الى الدرعية ، وهم نحو ثلاثة آلاف نفس ، فلما قدموها قام لهم عبد الله وأهل الدرعية فأنزلوهم وأعطوهم وأكرمهم .

والذي قتل في هذه الواقعة من أهل ضرمى نحو ثمانمائة رجل ، وأهل البلد قيمة اثنتي عشرة مائة رجل ، وقتل من المرابطة نحو من خمسين رجلاً ) .

**العبيد حاولوا قتل ابراهيم باشا :**

يقول غوان ومانجان ان المالك الذين كانوا يتولون حراسة ابراهيم باشا في

خيمته ليلاً ، وهم من عبيده الذين كان وعدهم بالعتق ولكنه لم يفعل - تأمروا فيما بينهم على قتله وأخذ ما يستطيعون أخذه من أمواله والهرب الى العراق ، وكان رأس المؤامرة المملوك يوسف ، ويقال ان سبب غضبه ان ابراهيم باشا كان يجلده هو وسائر المماليك .

لم تنجح المؤامرة لأن أحد المتآمرين أبلغ خبرها سراً الى الباشا ، فأحضر يوسف الى خيمته وجرى بينها حديث ومشادة عنيفة ، فأخرج يوسف مسدسه وأطلق النار على ابراهيم باشا فأصابه بين عنقه وكتفه اصابة غير قاتلة ، وهرب يوسف فلحق به العسكر وأمسكوه وقتلوه .

وقد أوكل ابراهيم باشا بعد ذلك حراسة خيمته الى الجنود .  
ويقال ان محمد علي قرر ، بعد هذا الحادث ، استدعاء ابراهيم الى مصر ، أو نقله من نجد الى الحجاز ، ولكنه أمهله حتى يتم له الإستيلاء على الدرعية ..